لولا كفاحك

للاستاذ مظهر الطبسي

القيت في الحفلة التأبينية الكبرى التي اقيمت لتأبين سيد الشهداء في الصحن الحسيني الشريف. وذلك في اليوم الثاني عشر من المحرم الحرام ١٣٦٧ هـ

لولا ذكارك ماسكبت فؤاديا شعراً يصيب من الضلال مراميا
ولما تفجرت الخواطر بعدما حبست وكانت قبل ذاك جواريا
وشوارد الدر النضيد وجوهها لو لاك ما سفرت وكن خوافيا
طافت باحناء الفؤاد لأنتقي منها الفريد مقاطعاً وقوافيا
ثم انثنيت اجوب سفرك خالداً كيما يطيب بما احتواه رثائيا
فأخذت من لفح الهجير يراعتي وجعلت من زاكي الدماء مداديا
وطفقت استوحي دفائن ثورة ظلت بآفاق الخلود كما هيا
ما اثرت فيها العصور كغيرها الا بقاءاً سرمدياً زاهيا
يا يوم (عاشوراء) كم لك لوعة فيها اذبت من الاسى احشائيا

***

ماعدت إلا واللواعج ايقضت فيّ الهموم وعاد قلبي كائبا
عاهدت نفسي ان اصوغ تحرقي نغماً باسباب التحرّق حاليا
حيث «العروبة» بعد بيض صحائف تبلى الحياة ولم يزلن بواقيا
نهضت «امية» وانبرت بذحولها تذكي النفوس ضغائناً وتقاليا
لتبيد شرع الاكرمين ومن بهم سفر الاماجد ظل سفراً واضيا
يامصحراً نحو «العراق» وملقياً في «الطف» أمراسأله ومراسيا

***

لولا الفضيلة ما هجرت مواطناً شرفت بـ «احمد» مربعا ومغانيا
بأغالب ثم الانوف تملكوا ما في الحياة مفاخراً ومعانيا
وتواكبوا للمجد يدفع بعضهم بعضاً وقد جعلوا الخلود مراميا
فمضوا كراماً طيبين وخلفوا ذكراً حميداً بالبطولة ناديا
هم صفوة الله التي اوحى لها وبخلقها نطق الكتاب مباهيا

***

قسما بجبك و«الوصي» «واحمد» والطيبين مقاصداً ومساعيا
ما ان ركبنا للضلال مخارقاً اوهت عزائمنا وكن مواضيا
ولما العداة العابثون بارضنا وقفوا هضاباً دوننا ورواسيا
كي لا نشق الى العلاء مصاعداً والى الخلود مسالكاً ومراقيا
الا لأنا عن أشعة هديكم مانا الى سبل ملئن دياجيا
لولا كفاحك للضلال واهله ما كان دين الاريحية باقيا
ولطوّحت بالمسلمين عصابة هوجاء، بوأت الخلافة باغيا
رامت بذلك ان تبلّ غليلها بدم اريق بـ «كربلاء» مجاريا
زعمت بأن الدين سوّغ قتلها فعدت عليه مواضيا وعواليا
ثم انثنت لك كي تبايع آبقاً في «الشام» فاق الآبقين مخازيا
واذا أبيت على الهوان مقادة ويظل عات في البرية ناهيا
خرجت بأجناد الضلال يقودها باغ تلفّع بالرذائل غاويا
وتتابعت راياتها وتزاحمت حتى ملأن مواميا ورواديا
فبذلت نفسك وهي نفس «محمد» للحق والشرع الحنيف تفاديا
فهدمت صرحاً بالمظالم زاخراً وثللت عرشاً بالمآثم طاميا
حفظوا الكتاب وان وجهك لو درروا في المسلمين غدا كتاباً ثانيا

***

أسليل قوم لا يزال كتابهم سفراً جليلا للبرية هاديا
أبقيت للأجيال درساً بالغاً ما زال فيه فم الاعاصر شاديا
هذي الجموع الحاشدات دموعها ما ان تزال على الخدود جواريا
وعلى الوجوه المشرقات بامسها لمح التوجع والكآبة باديا
أدمى اصابعها اللطام وليتها علمت لم اجتزت السباسب راضيا
وتركت لحباباً اليك وصفوة من انفس طهرت وطبن محانيا
لتملكت في الارض ارفع سؤدد وتبوأت منها المكان العاليا
ولما تتابعت الخطوب عليهم فأحلن ايام الهناء ليساليا
ولانشأوا المجد الاثيل وكونوا جيلا يفيض على الحياة معاليا

***

أبقية السلف الذين بعزمهم وبعدلهم ساسوا الشعوب اوالبا
لم ينم ثأركم وواتركم مشى بكم يشيع من الخلاف ماسيا
واستاقكم مثل الرهائن بعدما مازجتم دمه [الفرات] الجاريا
عبر لنا في السالفين كثيرة واجلين ماخذاً وماتيا
عبراً باحناء [الطفوف] تطيبت بدم [الحسين] وقد سمون معانيا
فهي الطريق لمن اراد تحرراً وهي السبيل لمن اراد تساميا
فتنسموا منها العبير وكافحوا طغماً تضللكم كفاحاً قاسيا
وتجشموا وعث المسالك تنهلوا ما تبذلون غداً معيناً صافيا